الـثـورة الجنسيّة بعد الربيع العربي

ترجمة عبدالخالق علي

مقالة منى الطحاوي التي تحمل عنوان " الرجال العرب يكرهون النساء، لماذا يكرهوننا ؟" تشعل فتيل المطالبة بتغيير جذري في العلاقة بين الجنسين . إنها دعوة إلى ثورة جنسية في العالم العربي، تزعم كاتبتها أن الرجال العرب " يكرهون " النساء العربيات. أججت المقالة جدالا شرسا حول استعباد المرأة في بلدان مثل مصر و المغرب و العربية السعودية .

انقسمت النساء حول المقالة التي كتبتها الصحفية الأميركية المصرية الأصل منى الطحاوي و التي تشجب " القلب النابض بكراهية النساء في الشرق الأوسط " و تؤسس لتصعيد مبكر من خلال القول " ليست لدينا حريات لأنهم يكرهوننا ... نعم ، يكرهوننا. يجب أن نقر بذلك " .

الطحاوي ليست الوحيدة التي تؤكد أن الثورات تأتي و تذهب لكنها لم تفعل سوى القليل لصالح المرأة العربية. هناك ثماني نساء فقط في البرلمان المصري الذي يضم ٥٠٠ مقعد، ليس بينهن واحدة مرشحة للرئاسة. لا يزال العنف المنزلي و الزواج الإجباري و الختان جزءا من الأمر الواقع في منطقة تغطي أكثر من عشرين بلدا و ٣٥٠ مليون نسمة . تزعم الطحاوي أن المرأة، حتى بعد هذه (الثورات) ، لا تزال متسمرة في البيت و لا تمتلك الحق في التنقل بسيارتها الخاصة و مجبرة على استحصال الإذن من الرجل عند سفرها وغير قادرة على الزواج – أو حتى الطلاق – دون موافقة و مباركة الراعي المسؤول عنها .

يجب نسف النظام السياسي و الاقتصادي بالكامل، هذا النظام الذي يعامل نصف البشر مثل الحيوانات، و نسف أنواع الاستبداد التي تضيق الخناق على المنطقة و تبعدها عن مستقبلها . و ما لم ينتقل الغضب من الظالمين القابعين في القصور الرئاسية إلى الظالمين في شوارعنا و منازلنا، فان ثورتنا لم تبدأ بعد " .

تعتمد الطحاوي في انتقاداتها على الأدلة القولية و العملية : ٩٠ ٪ من النساء المتزوجات في مصر سبق أن خضعن للختان باسم التربية الصحيحة"، لا يوجد بلد عربي واحد تتوفر فيه المساواة بين الجنسين، فالنساء السعوديات تمت مقاضاتهن بسبب تجرؤهن على قيادة السيارة. تثبت الطحاوي المفارقة في أن المرأة هي التي يجب سترها بسبب الدوافع الجنسية للرجال العرب .

إلا أن هناك الكثير من النساء في العالم العربي اعترضن على إدانة الطحاوي للرجال . تقول جمانة حداد الكاتبة و الصحفية اللبنانية " اتفق مع معظم ما ذكرته الطحاوي إلا أن الشيء الوحيد الذي لم تعترف به هو أن المسألة لا تتعلق بكراهية الرجال للنساء ، و إنما بالديانات التوحيدية التي تكره النساء. هذه الديانات تعزز المعايير و الأنماط الدينية التي وجدت منذ زمن بعيد. ليس هناك إمكانية للانسجام ما بين التوحيد و حقوق المرأة، فالتعاليم تنكر حقوق و كرامة المرأة ". من جانبها أضافت داليا عبدالحميد الباحثة في القضايا الصحية في المساعي المصرية للحقوق الشخصية قائلة " من البساطة المفرطة أن نقول إن الرجال العرب يكرهون النساء العربيات، إنها تقدّمنا على أننا بحاجة إلى الإنقاذ، أنا لا أريد أن ينقذني احد لأني لست ضحية. يمكننا أن نضع كل النساء المصريات في فئة واحدة و نترك النساء العربيات. مشاكلي لا تشبه مشاكل المرأة في الريف المصري". تقول سارة نجيب الناشطة السياسية في مصر " بصراحة أعتقد أن من المهين أن نسأل ما إذا كان الرجال العرب يكرهون النساء العربيات، إن الأمر كما يقال إن كل المسلمين هم إرهابيون و كل اليهود شريرون ". تقول لينا بن مهني الأستاذة التونسية التي ترشحت العام الماضي لجائزة نوبل للسلام " يبدو لي أن هذه المقالة تعمم كل الرجال بشكل غير دقيق من منظور شخصي بحت ، فإذا كنت اليوم كاتبة تدافع عن حقوق المرأة و غيرها من المجاميع، فلأن والدي مناصر للمرأة أكثر مني ". تقول لينا إن الرجال و النساء في تونس يعملون معا للدفاع عن حريات و حقوق المرأة " الأمثلة التي اقتبستها منى الطحاوي حقيقية لكن أن نجعل الكراهية سببا للتمييز بين الرجال و النساء فان ذلك شيء مبالغ فيه و لا مبرر له. عليك أن تنظر إلى كل العوامل التاريخية و الاجتماعية و السياسية التي تقف وراء ذلك. الأنظمة العربية كانت دائما تحدد آفاقنا وتقوض أنظمتنا التعليمية و تقيد وصولنا إلى الثقافة. إنها ستراتيجية للتلاعب بالجماهير و توجيهها إلى اتجاه معين ". في بيروت تشير جمانة إلى أن الرجال ليسوا هم المسؤولين الوحيدين و إنما النساء مسؤولات أيضا " الكثير من النساء يساندن مثل هذه المفاهيم السلبية مثل تأييد اولوية الرجل، و تعزيز النظام الديني و الطاعة و الخضوع و التبعية المالية . هناك كثير من النساء لا يؤمنّ بدور المرأة في العمل أو في المطالبة بحقوقهن السياسية . هذه المطالب من المستحيل تحقيقها استنادا إلى تعاليم الدين ". رغم أن ذلك قد يكون صحيحا، إلا أن القانون اللبناني نفسه يناهض المرأة في عدة مواضع. تقول سيذريدا جيجي عضوة البرلمان اللبناني " ليس هناك قانون يحمي المرأة من العنف المنزلي، فالرجل يمكنه انتهاك زوجته و حتى اغتصابها ولاشيء يحميها من ذلك. قبل شهرين قمنا بتمرير مسودة قانون يمنع القتل غسلا للعار. قبل ذلك كان يمكن للأب أو الأخ أن يقتل المرأة من أسرته إذا علم أنها تقابل رجلا غريبا، و لا يقضي أكثر من شهرين في السجن " لقد تغير ذلك الآن إلا أن تغيير الآراء يستغرق وقتاً أطول ".

يقول آخرون إن المرأة هي جزء واحد من بين عدة مجموعات تتعرض للظلم. ففي مقالة على موقع (تعليق مجاني) هذا الأسبوع ، قالت نسرين مالك " نعم، في السعودية لا تستطيع المرأة قيادة السيارة، لكن الرجال أيضا لا يمكنهم انتخاب حكومتهم بل تحكمهم عائلة مالكة واحدة . و في مصر صحيح أن المرأة تخضع لاختبارات العذرية إلا أن الرجال يمارسون اللواط أيضا. في السودان يتم جلد النساء بسبب ارتداء البنطلون إلا أن الأقليات العرقية مهمشة أيضا و تعاني الهجمات. علينا ألا نقلل من قيمة القضايا التي تواجهها المرأة أو نهملها، لكن يجب أن نضع هذه القضايا في سياق أوسع حيث المطلوب هو إصلاح شامل. لا يمكن للمرء أن يحصر المشكلة العالمية المعقدة بمجرد الجنس ". ليلى المراكشي، منتجة الأفلام المغربية،تأخذ القضية من جانب الكراهية و تزعم أن الكثير من الرجال العرب يتعرضون للقمع أيضا " إنها ليست مسألة كراهية بل خوف من النساء – و الذي بدوره يجلب الكراهية . هناك الكثير من الإحباط بين الرجال في العالم العربي، يبدأ بالإحباط الجنسي مرورا بالإحباط من كبح حرية الكلام و عدم الحصول على حرية سياسية ". ربما تكون تونس قد تمتعت خلال تاريخها بأكثر الآراء ليبرالية تجاه حقوق المرأة، إلا أن هناك مخاوف من تغير ذلك رغم الثورة التي حدثت العام الماضي. تقول سلوى اونالي أستاذة الأدب الأميركي و الانكليزي في جامعة تونس " لقد تغيرت الأمور خلال أشهر قليلة، فاليوم لا يمكنني ارتداء التنورة القصيرة في الحرم الجامعي خوفا من أن يهاجمني احد، و أرتدي بدلها البنطلون. بدأ هذا التغيير قبل سنتين عندما ازداد عدد النساء اللواتي يرتدين الحجاب". تقول سلوى إن الحاجة ماسة إلى ثورة جنسية " إلا أن التوقيت غير مناسب الآن، فانك تحتاج أولاً إلى ثورة ثقافية لتدريب الشعب على التفكير بإطار ذهني حرج و أن تأخذ بالحسبان تعدد الثقافات في العالم لترى أن الثقافة العربية هي مجرد ثقافة واحدة بين الثقافات، ليس بالضرورة أن تكون هي الأفضل . الثورة الجنسية ستكون مضيعة للوقت ما لم يتعلم الناس أولاً تقييم ثقافتهم مع بعض الابتعاد عن المقدسات".

تقول الصحفية المغربية نادية لمليلي إن العالم العربي لا يحتاج إلى ثورة جنسية بقدر ما يحتاج إلى ثورة ثقافية بالطريقة التي يتم فيها كسب الناس و الفصل بين الجنسين " يبدو لي أن المشاكل التي تواجه المرأة العربية ناجمة عن الافتقار إلى التفاهم بين الجنسين و الذي يعود قبل كل شيء إلى عدم السماح باختلاط الجنسين و إلى الرغبة المهووسة للأنظمة العربية في إبقاء المجتمع منقسما : الرجال في جهة و النساء في الجهة الأخرى. فمن خلال عزل الجنسين تريد الأنظمة العربية السيطرة على الإغراء الجنسي، لكنها لا تلغي الإغراء بل إن العزل في الواقع يزيد من الإغراء و ينتهي بالعنف في التعامل بين الرجل و المرأة ". و تضيف نادية قائلة " المشكلة في مجتمعاتنا هي أن المرأة تعشق أبناءها بدلا من زوجها، و الرجال يعشقون أمهاتهم بدلا من زوجاتهم. الرجال و النساء لا يفهمون بعضهم البعض بسبب عدم وضوح التعامل في ما بينهم لأنهم لا يقضون أوقاتا كافية معا أو أنهم لا يتعاشرون مع بعضهم بشكل كاف ".

عن : الغارديان البريطانية

تونسيات يتظاهرن ... ثورة من أجل المساواة

في بيروت تشير جمانة إلى أن الرجال ليسوا هم المسؤولين الوحيدين وإنما النساء مسؤولات أيضا " الكثير من النساء يساندن مثل هذه المفاهيم السلبية مثل تأييد اولوية الرجل، و تعزيز النظام الديني و الطاعة و الخضوع و التبعية المالية .

بمناسبة يوم الابتكار العالميّ في ٢٦ نيسان

تـعـزيـز الإبـــداع والابـتـكـار

علي حسين عبيد

يحقق عالم اليوم قفزات نوعية في مجال الإبداع والابتكار، لاسيما في الدول التي ترعى المبدعين وتمنحهم ما يكفي من الحماية الفكرية والتسهيلات المادية، ناهيك عن الجانب المعنوي، حيث تزخر الدول المتقدمة بأساليب الاحتفاء الخلاقة بالمبدعين والمبتكرين، الذين يتمتعون بمواهب وعقول متفردة، أعطت ولا تزال للعالم فرصا متواصلة تقود البشرية جمعاء نحو حياة أفضل.

وقد تم تخصيص يوم عالمي للاحتفال بالملكية الفكرية اعتمدته منظمة الويبو، و " يشكل اليوم العالمي للملكية الفكرية في ٢٦ نيسان من كل سنة مناسبة للاحتفال بالابتكار والإبداع، وللاطلاع على دور الملكية الفكرية في تعزيزهما وتشجيعهما. وقد تم تنظيم اليوم العالمي للملكية الفكرية لسنة ٢٠١٢ تحت شعار (المبتكرون المبصرون)، أي الأشخاص البارعين ذوي المواهب الفنية الخارقة للعادة، الذين فتحوا للإنسانية آفاقا جديدة وأثّروا فيها أيما تأثير ".

إن أهمية الملكية الفكرية تكمن في كونها حافزا ماديا ومعنويا لمواصلة التطور البشري، من خلال حالة الاطمئنان التي يعيشها الإنسان الموهوب، وهو يعرف بأن جهوده ومثابرته وابتكاراته تعود عليه بنفع مشترك، مادي/ معنوي، يحفزه كثيراً على الإبداع الأفضل، لذلك " سعياً إلى زيادة الفهم العام لحقيقة الملكية الفكرية، اختارت الدول الأعضاء في الويبو ٢٦ أبريل يوما عالميا للملكية الفكرية وهو اليوم الذي دخلت فيه اتفاقية الويبو حيز النفاذ في سنة ١٩٧٠. وما انفك اليوم العالمي للملكية الفكرية، منذ ذلك الحين، يتيح فرصا سانحة كل سنة للالتحاق بنظام الملكية الفكرية مع الآخرين عبر العالم وإبراز كيف أن هذا النظام يساهم في النهوض بالفنون والدفع بعجلة الابتكار التكنولوجي الذي يساعد في تشكيل عالمنا ". على نحو أفضل. لهذا بات من المهم للشعوب التي تتطلع إلى اللحاق بمن سبقها من الشعوب المتطورة، أن تعير الاهتمام المطلوب للعقول الخلاقة والمواهب النادرة، وتمنح أفكارها ومبتكراتها الحماية اللازمة من السطو أو الإهمال، وهو أمر واضح للجميع، حيث تتعامل الجهات الحكومية المعنية مع الموهوبين بازدراء وإقصاء وإهمال يؤدي قطعا إلى موت الموهبة وتراجع العقل المتميز وخموله، ولدينا مثال ساخن على سبيل المثال، كما حصل في حالة الاعتقال التي تعرض لها مؤخرا رجل عراقي من مدينة السماوة، صنع طائرة صغيرة بجهده الخاص ومهارته الفردية العالية وحلّق بها في فضاء المدينة المذكورة، وبدلا من رعايته وتكريمه والاهتمام به ومنحه ما يحتاج إليه من مستلزمات التطور نحو الأفضل، تم اعتقاله وزجّه في السجن !!، ولنا أن نتصور كيف يمكن لمثل هذه العقول أن تبدع وتتطور وتقدم ما هو جديد ومتميز، في المجال التكنولوجي أو الفكري، وهي تُعامل بهذا الازدراء والاستخفاف الواضح.

لهذا تحتاج الشعوب القابعة في الدرجات السفلى من سلّم التطور، إلى أن تتعلم كيف تحمي العقول والمواهب المتميزة لديها، وأن تسن القوانين والبنود اللازمة التي بمقدرتها حماية الفكر، والمنجز الإبداعي والابتكاري أيا كان منحاه أو ميدانه، وأن تتعلم أيضا كيف تحتفي بمبدعيها وتحميهم وترعاهم بكل السبل والوسائل المتاحة، وتقدم لهم متطلبات الحياة التي تصنع لهم أجواء الابتكار والإبداع، وهي خطوات تحتاج إلى تشريعات تضعها لجان متخصصة وعارفة ببواطن الأمور التي تخص هذا المجال، على أن تتم الاستفادة من الخبرات الدولية في هذا المضمار من خلال الانتماء إلى منظمة الإيبو، والسعي على نحو حثيث لاكتساب الخبرات في تحقيق مطلب الحماية الفكرية، الذي قد ينظر إليه بعض المسؤولين والجهات المعنية بأنه نوع من الترف، أو شيء جمالي كمالي لا حاجة لنا له في المرحلة الراهنة، وهذا تصور قاصر قطعا، فالعراق في انطلاقته الحالية وتعدد وتزايد موارده المالية خاصة، بحاجة قصوى إلى تفعيل الحماية الفكرية، وتشجيع العقول والمواهب المتميزة التي حتما أنها لا تجد الآن من يتنبّه لها أو يهتم بها.

عراقي صنع طائرة صغيرة بأدوات بسيطة ... من اهتم به؟

الـرقـص عـلـى سـلالم الـسـيـاسـة

لينا مظلوم

التأمل في بلاغة كلمات أطلقها عالم الدين المستنير الإمام محمد الغزالي(الدين يُفسد السياسة والسياسة تُفسد الدين) قد يستدعي الإبحار عبر تاريخ من المراجع والبحوث والأمثلة المؤكدة للمغزى العميق والدقيق لهذه المقولة على ممارسي اللعبة السياسية باسم الدين.

استحضار التاريخ- على أهميته- أمر مُتاح للمهتمين بالبحث والمعرفة..إلا انه أيضا يتناسق تماما مع الأحداث المتلاحقة التي شهدتها المنطقة العربية خلال العام الماضي.. بل إن سرعة إيقاع هذه التغييرات قلما تتيح الفرصة والمساحة الزمنية للفهم والإدراك.

في تونس هبّت رياح ثورية بداية لما اصطُلح على تسميته ثورات الربيع العربي.. ولأن الدكتاتورية غالبا ما تقترن بالغباء والتبلد السياسي ..فقد جاءت اعتذارات ومحاولات فهم الرئيس التونسي السابق بن علي لشعبه متأخرة- كما هو الحال في جميع البلاد التي انتقل إليها الربيع العربي لاحقا- .. إثر فرار بن علي كان بديهيا أن تعود المعارضة التونسية -التي يُشكّل التوجه الإسلامي الكتلة الأكبر من تكوينها – من فرنسا ولندن حيث اتخذت ملجأ لها. رغم أن المناخ الأوروبي الذي احتضن المعارضة التونسية أبعدها إلى حد ما عن التأثير السلفي .. إلا أن مخاوف الشارع التونسي لم يشفع في تهدئتها كل رسائل الطمأنة التي بثها التيار الإسلامي تحديدا في ما يخص الثروة التي يعتمد عليها الاقتصاد التونسي وهي السياحة.. بينما التيار السلفي بدوره لم يتأخر كثيرا في محاولات استعراض عضلاته داخل بعض الجامعات ومظاهر الإعلام والفن والثقافة.

في مصر تشقّقت الأرض عن كل الخلايا السلفية التي ظلت كامنة سنين تتحين الفرصة..بعد الاطمئنان إلى نجاح الثورة المصرية.. شمرت عن سواعدها بشراسة وعنف.. لتتشكل مع جماعة الإخوان المسلمين- التيار الديني الأكثر تنظيما- أغلبية في برلمان هش معرّض لسحب الثقة منه في أي لحظة.. لكن الشعبية الجارفة التي حققتها هذه التيارات في الشارع المصري.. تحديداً بين التجمعات الشعبية وبعيداً عن المدن، لم يُكتب لها الاستمرار أكثر من سنة .. إذ سرعان ما تبخرت نتيجة ممارسات الكذب والفشل السياسي المُدوّي لكل هذه التيارات التي رفعت الدين شعاراً سياسياً لها.. وتظهر على سطح نفس المخاوف على التجربة الليبية العاجزة عن تشكيل ملامحها النهائية حتى الآن .. وعلى الثورة السورية وهي الأصعب بين ثورات الربيع العربي ..إذ تبدو ملامح التحفز للسيطرة على هذه الثورات واضحة .. وهي – جرياً على عادة هذه التيارات عبر التاريخ – لا تبدأ إلا بعد التأكد من نجاح الثورة.

مظاهر التخبط والفشل التي وقعت بها التيارات الدينية بعد استيلائها على الثورات العربية تعيدنا إلى منطقية كلمات الغزالي؛ والغريب أن إخفاق رافعي شعارات الدين في ممارسة اللعبة السياسية يبدو مفاجأة للبعض ممن توقع إمكانية امتزاج الماء بالزيت.. وهو خير ما ينطبق على ممارسي السياسة تحت الشعارات الدينية.

مع اختلاف الوضع العراقي نوعا ما –لأن التغيير حدث من قوى خارجية- إلاّ أن تداعيات العملية السياسية التي توالت خطواتها ، أُقيمت أيضا على أُسس خاطئة، مما أدى إلى سلسلة كوارث يدفع ضريبتها المواطن العراقي فلم يتم الاعتماد على أسس بناء سياسي راسخ يُفترض إقامته على دستور وقوانين مدنية وتشريعات تستمد بنودها من المواطنة.

التاريخ لم يكتب يوما النجاح لبناء دولة أُقيم بعيداً عن مكونات السياسة التي تعتمد على الانتماء الوطني ونظم ديمقراطية مدنية. بينما تتبنى التيارات الدينية في المقابل الانتماء الديني أولاً، وتطبيق المعايير الدينية في الحكم على الحريات يصل حتى إلى حرية الهواء الذي تستنشقه الشعوب!

جوهر التعثرات التي واجهت ثورات الربيع العربي كلها تتمحور حول كلمات الغزالي عن حتمية الفصل بين الدين والسياسة..مما يجعل اصطدام التيارات الدينية –أياً كان توجهها ومصدرها – بصخرة الفشل حتميا ومنتظرا وهي تُقحم قيمة روحانية تستمد قواعدها السامية من تعاليم إلهية .. وتنحدر بها إلى دهاليز عالم السياسة القائم على قواعد مكيافيللية تتخذ من الدهاء والمناورات والحنكة – غير البريئة غالبا- أسساً لها.

الواقع يكشف يوماً تلو الآخر أن خيبة أمل وتمرد الشارع العراقي منذ ٢٠٠٣..والغوغائية الصاخبة التي تعيشها دول الربيع العربي منذ عام.. تقع تحت عنوان يكاد يكون متقارباً – مع اختلاف التفاصيل- وهو فشل حتمي كشف سذاجة جميع (مشايخ السلفية) و(الملالي) حين يمارسون وهم الارتقاء بأطماعهم المغلّفة بالشعارات الدينية البراقة على سلالم السياسة.

التاريخ لم يكتب يوماً النجاح لبناء دولة أقيمت بعيداً عن مكونات السياسة التي تعتمد على الانتماء الوطني ونظم ديمقراطية مدنية. بينما تتبنى التيارات الدينية في المقابل الانتماء الديني أولاً، وتطبيق المعايير الدينية في الحكم على الحريات يصل حتى إلى حرية الهواء الذي تستنشقه الشعوب!

× كاتبة عراقية مقيمة في القاهرة